توظيف الجمل الوصفية في شعر ابن دريد

الباحثة : رغد أحمد إسحاق

أ.د. حامد ناصر الظالمي

جامعة البصرة ــ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة ــ قسم اللغة العربيَّة

ملخص البحث:

هذا البحث يتناول الجمل التي تحمل معنى الوصفية في شعر ابن دريد، ويتناول بنيتها التركيبية وطبيعة تشكلها والوظيفة التعبيرية لهذه الجمل في السياق اللغوي الشعري من خلال الوقوف عليها في أبيات ابن دريد الشعرية داخل قصائده.

الكلمات المفتاحية: الجمل الوصفية، جملة النعت، صلة الموصول، الجملة الحالية .

Employing Descriptive sentences in Ibn Duraid's Poetry

Researcher :Raghad Ahmed Ishaq
Prof. Dr. Hamed Nasser Al-Dhalami
Dept. of Arabic Language, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

This research deals with sentences that convey the descriptiv meaning in the poetry of Ibn Duraid. The study deals with sentence structure and the nature of their formation and the expressive function of such sentences in the poetic linguistic context with reference to Ibn Duraid's poems.

Keywords: descriptive sentences, participle sentence, relative clause, adverbial structure.

توظيف الجمل الوصفية

إن إطلاق عنوان الجمل الوصفية على هذا المبحث لا يعني أننا سنقوم بدراسة توظيف الجمل الواقعة نعتا أو صفة فقط بل سنقوم بدراسة جمل ذات وظائف نحوية أخرى لكنها تحمل معنى الوصف فنحن هنا لا نقصد من الوصفية المعنى الخاص بل نقصد المعنى العام ، فالوصفية ذات معنيين عام وخاص فالخاص هو الذي تندرج تحته جملة الصفة حصرا والعام تندرج تحته الجملة الواقعة حالا والجملة الواقعة خبرا فالحال هو وصف في المعنى والخبر كذلك إنما هو وصف للمبتدأ ويؤكد ذلك قول الرضي الذي ورد في شرحه للكافية فهو يقول:((الصفة تطلق باعتبارين : عام، وخاص ،والمراد بالعام: كل لفظ فيه معنى الوصفية، جرى تابعا أو لا، فيدخل فيه خبر المبتدأ والحال في نحو: زيدٌ قائمٌ، وجاءني زيدٌ راكبا، إذ يقال هما وصفان ، ونعني بالخاص: ما فيه معنى الوصفية إذا جرى تابعا ،نحو :جاءني رجلٌ ضاربٌ))[١]. والجمل الوصفية هي من نوع الجمل التي لها محل من الإعراب فهي تؤول بالمفرد فالحال يقع مفردا ويقع جملة والنعت كذلك والخبر أيضا فهذه الوظائف النحوية كما يشغلها المفرد تشغلها الجملة أيضا وهذه الجمل وإن كانت تؤول بالمفرد فهي لا تعطي المدلولات نفسها التي يعطيها المفرد((بل تعطي الجمل في أغلب الأحوال فيضا من المدلولات أكثر مما تعطيه المفردات، فإن لكل صيغة من صيغ العربية طرافة بلاغية ودقة معنوية يؤديها لفظ خاص تتغير إذا ما تغير هذا اللفظ))[٢].

أولا: جملة النعت

النعتُ هو ((الاسم الدال على بعض أحوال الذات، وذلك نحو:((طويل)) و((قصير)) و((عاقل))...والذي تُساق له الصفة هو التفرقة بين المشتركين في الاسم ،ويُقال أنها للتخصيص في النكرات ،وللتوضيح في المعارف))[٣].

والنعت من الوظائف النحوية التي تُعاقب فيها الجملة المفرد وتقع موقعه وتقوم بما يقوم به[٤] فالنعت كما يقع مفردا يقع جملةً ولا يُنعت بالجملة إلا النكرة فلا يجوز أن تقع الجملة نعتا للمعرفةِ قال ابن يعيش: ((إنما لم توصف المعرفة بالجملة؛لأن الجملة نكرة، فلا تقع صفة للمعرفة ،لأنها حديث . ألا ترى أنها تقع خبرا، نحو: ((زيد أبوه قائم))، و((محمدٌ قام أخوه)). وإنما تُحدّث ما لا يُعرف، فتفيد السامع مالم يكن عنده))[٥] أما الرضي فلا يرى أن الجملة نكرة لأن التعريف و التنكير من عوارض الذات و الجملة ليست ذاتا كي يقع فيها التعريف والتنكير، فهو يرى أن الجملة ليست بمعرفة ولا نكرة وجاز وصف النكرات بها لمناسبتها للنكرة من حيث يصح تأويلها بالنكرة[٦]. ويشترط في الجملة التي تقع نعتا شروط منها أن تكون خبرية محتملة للصدق والكذب قال ابن يعيش: ((وقد تقع الجمل صفات للنكرات ،وتلك هي الخبرية المحتملة للصدق والكذب ،وهي التي تكون أخبارا للمبتدأ ،وصلات للموصولات))[٧] إذن فما يصح من الجمل أن يقع خبرا وصلة لموصول يصح أن يقع صفة وهي الجمل المحتملة للصدق والكذب دون الجمل الإنشائية والطلبية((لأن الغرض من

الصفة الإيضاح والبيان بذكر حال ثابتة للموصوف يعرفها المخاطب له، ليست لمشاركه في اسمه. والأمر، والنهي، والاستفهام ليست بأحوال ثابتة للمذكور يختصُّ بها، إنما هو طلبٌ واستعلامٌ، لا اختصاص له بشخص دون آخرٍ))[٨]. كما علل الرضي وجوب كون جملة الصفة خبرية بقوله : ((وإنما وجب في الجملة التي هي صفة ، أو صلة، كونها خبرية ، لأنك إنما تجيء بالصفة والصلة ، لتعرف المخاطب بالموصوف والموصول المبهمين ،بما كان المخاطب يعرفه قبل ذكرك الموصوف والموصول، ممن اتصافهما بمضمون الصفة والصلة، فلا يجوز، إذن، إلا أن تكون الصفة والصلة جملتين متضمنتين للحكم المعلوم عند المخاطب حصوله قبل ذكر تلك الجملة ، وهذه هي الخبرية ، لأن غير الخبرية إما إنشائية نحو: بعت ، وطلقت ، وأنت حرٌ، وإما طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض، ولا يعرف المخاطب حصول مضمونها إلا بعد ذكرهما))[٩] .

وكذلك يشترط في الجملة الواقعة صفة احتواؤها على ضمير يربطها بالموصوف[١٠] و وظيفة الضمير هو الربط، ربط((اتصاف الموصوف بمضمون الصفة فيحصل لهما بهذا الاتصاف تخصص أو تعرف))[١١]. من هنا نفهم أن جملة الصفة ذات وظيفة دلالية مهمة من حيث أنها تُفصح عن الموصوف وتزيلُ الإبهام عنه في جهة ما تصف ولذا كان ورودها في الكلام ضرورة تعبيرية يلجأ إليها المتكلم وقد أدرك ابن دريد أهميتها التعبيرية فوظفها في شعره؛ لأنها تكشف جانباً دلالياً مهما يريد التعبير عنه. وقد أكثر من توظيفها كثرة ملحوظة ولقد وظفها لتحقيق معان ودلالات شعرية فجملة الصفة جزء لا ينفصل عن نسيج الجملة الشعرية وليست مجرد فضلة أو تابع مكمل لبناء الجملة بل هي في أغلب الأحيان يوظفها الشاعر كعنصر أساس في تشكيل المعنى الشعري داخل الجملة ولا يمكن التفريط به أو الاستغناء عنه أبدا بل نلاحظ أن جملة الصفة في أغلب الجمل أصبحت مركز إشعاع دلالي ومنها استمدت الجملة الأساسية التي تحتويها شعريتها، ومن الأبيات التي وظف فيها ابن دريد جملة الصفة قوله[١٢] :

حَماهُ الكَرى طَيْفٌ يَهُمُّ بجفنِهِ ويبعثُ ماءَ العينِ فهوَ سَفُوحُ

حرامٌ على عينٍ يُسامرها البكا وجفن رماهُ الوجدُ فهو قريحُ

حرامٌ على ماءِ السلوّ وللهوى خواطرُ تَغدو نحوهُ وتروحُ

حوى غاية البلوى فؤادٌ معذبٌ طوى عنه صدٌّ حبَّهُ ونُزُوحُ

نلاحظ وفرة الجمل النعتية في الأبيات السابقة فقد وظف الشاعر في هذه الأبيات خمس جمل نعتية وهي كلها جمل فعلية، فجملة (يهم بجفنه) جملة فعلية فعلها مضارع وهي نعت للفاعل (طيف) وجملة (يسامرها البكا) جملة فعلية مضارعية أيضا وهي نعت للاسم المجرور (عين) ،وجملة (رماه الوجد) جملة فعلية فعلها ماض وهي نعت ل(جفن) وجملة (تغدو نحوه وتروح) جملة فعلية فعلها مضارع وهي نعت للاسم النكرة

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٨ – أيلول لسنة ٢٠٢٣

(خواطر) وجملة (طوى عنه صد...) وهي جملة فعلية ماضوية وهي نعت ل(فؤاد). إن هذه الجمل النعتية جاءت في سياق جمل أكبر منها داخل الأبيات الشعرية؛ لأنها اختصت بوصف مفردة وأبانت عنها فهي ليست جملاً رئيسة في البيت بحسب تركيبه النحوي بل ثانوية لكنها اضطلعت وظيفة تعبير شعري جعلها تتصدر غيرها أهمية بحيث جاءت كل جملة من هذه الجمل في موضعها، وأضفت دلالات ومعان لم تكن لولاها وبدون هذه الجمل سيكون المعنى باهتا ولا يصبح له أدنى تأثير على المتلقي فمثلاً عندما قال : (حرام على عين يسامرها البكا) تبقى الجملة ناقصة وغير معبرة لو أنه لم يصف العين بجملة(يسامرها البكا) فهذه الجملة النعتية أضاءت جنبة دلالية مهمة قصدها الشاعر؛ لأن بؤرة الإبداع تكمن في هذه الجملة فإسناد الفعل (يسامر) إلى الفاعل (البكا) قد أحدث كسرا للمألوف؛ لأن المزاوجة هنا((تمت بين كلمتين كل منهما من مجال دلالي لا يتعامل مع الآخر في مألوف اللغة واستعمالها اليومي))[١٣] وهذا ما جعل المعنى يبتعد عن كونه باهتاً ومألوفاً مملاً، وكذلك في بقية الجمل الوصفية الواردة في هذه الأبيات، وتظهر أهمية هذه الجمل فيما لو قمنا بإزاحتها أو استبدالها بغيرها لما تم المعنى ولما تكونت الصورة المرادة مثلما هي عليه الآن بوجود هذه الجمل الواقعة نعتا.

ومن الأبيات التي وظف فيها الشاعر جملة النعت قوله[١٤]:

راقه منظرٌ أنار فأورى لسناهُ ضوءُ الصباح المنيرُ

رشأٌ يقتُلُ الأسودَ غريرٌ كيف يُرْدي الأسودَ ظبيٌ غريرُ

في هذه الأبيات جملتان نعتيتان وهما: جملة (أنار) وجملة(يقتل الأسود)، وكلاهما جملتان فعليتان وظفتا لوصف الاسم النكرة السابق لهما. فالجملة الأولى (أنار...) وظفت لوصف الفاعل النكرة(منظر)، فجملة الصفة بعده أفادت تخصيصه فهو ليس منظراً عادياً بل ضوء الصبح أورى لنوره، والجملة الثانية (يقتل الأسود) وظفها الشاعر لوصف الاسم النكرة(رشأٌ) فأفادت تخصيصه وتمييزه عن بقية نوعه بأنه ليس أي رشأ بل هو رشأ مغاير للعادة إنه يقتل الأسود وليس العكس. فبواسطة هذه المفارقات والابتعاد عن المألوف الشائع في اللغة اليومية، ومن خلال صنع الشاعر علاقات بين الألفاظ غير مألوفة ولا معتادة يصنع الشاعر لغته الشعرية ويجعلها لغة ذات طاقة تعبيرية إحالية قصدها الشاعر وأسسس جملة النعت لأجل ما تحمل من دلالة شعرية عميقة في سياق هذا البيت.

إن كثرة الجمل النعتية لأنها مجال أرحب للسعة الدلالية التي تتميز بها هذه الجمل ومن ثم فإنها توفر للشاعر معاني شعرية تصويرية عادة ، خاصة عندما تكون الجملة النعتية فعلية لا تتوافر في استعمال الألفاظ المفردة ولذا لجأ إليها الشاعر؛ لأنها تعبير شعري مهم يجد الشاعر فيها الوسيلة الأنسب للتعبير عن المعاني والدلالات الشعرية التي يقصدها؛ لأن هذه الجمل تقوم بوظيفة تصويرية تعبيرية مهمة. والجملة النعتية الفعلية أخذت مساحة واسعة في شعر ابن دريد؛ لأنها كما ذكرت تؤدي وظيفة حركية تصويرية تمنح الموصوف

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٨ – أيلول لسنة ٢٠٢٣

دلالات شعرية مخصوصة لولاها لأصبح التعبير باهتاً ومتواضعاً وإن أحرز سلامته التركيبية النحوية، ولكننا لا نعدم ورود جمل نعتية إسمية في شعر ابن دريد ومع أنها جاءت قليلة جدا لا تتجاوز عدد أربع جمل أو خمسة[١٥] فإن هذا يؤشرُ إلى أن الجمل الإسمية النعتية لا تحمل الطاقة التعبيرية التي تحملها الجملة الفعلية، ولعل ابن دريد أدرك بحسه الشعري أن الجمل الإسمية لا توفر لديه أفقا تعبيريا مهما في شعره لذا جاءت بمستوى هامشي كما، أنها وردت في مواضع تعبير يطغى عليها الفكر العقلي والتقرير كما في قوله[١٦]:

إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن أن قصاراه نفاذ وتوى

شجيت لا بل أجرضتني غصة عنودها أقتل لي من الشجى

فقد جاءت جملة النعت في البيت الثاني(عنودها أقتل لي من الشجى) جملة اسمية وقد كان التعبير في هذين البيتين تعبيرا تقريريا يحمل فكرة مباشرة على خلاف ما يجيء التعبير في الجمل النعتية الفعلية.

ثانيا : جملة صلة الموصول

من المعلوم أن الاسم الموصول اسم مبهم يفتقر إلى ما يوضحه ويبينه، والذي يقوم بهذه الوظيفة هو الجملة الواقعة بعده التي تسمى صلة الموصول فالموصول وحده اسم ناقص الدلالة حتى تجيء بصلته [١٧]. واتفق النحاة على تسمية هذه الجملة بجملة الصلة ولكن سيبويه أطلق عليها تسمية الحشو تارة والصلة تارة أخرى[١٨]. وقد علل ابن يعيش سبب هذه التسمية في شرح المفصل بقوله: ((فأما تسمية سيبويه لها حشواً، فمن معنى الزيادة، أي أنها ليست أصلاً، وإنما هي زيادة يتمم بها الاسم ويوضح بها معناه. ومنه : ((فلان حشو بني فلان)) ، أي: من أتباعهم، وليس من صميمهم))[١٩]. ويبدو أن سيبويه أطلق عليها هذه التسمية؛ لأنها لم تتخذ موضعا نحويا في الجملة أي فهي ليس لها محل من الإعراب ولكنها تفيدُ دلالة معينة ترفع بها الإبهام عن الاسم الموصول، وبذا تتحقق أهميتها في ثنايا التركيب اللغوي. يشترط في جملة الصلة أن تكون خبرية محتملة للصدق والكذب فلا يصح وقوع الطلبية والإنشائية صلة للموصول[٢٠] ، وتكون جملة الصلة جملة إسمية أو فعلية تحتوي على ضمير يعود على الموصول فإن لم يتوافر فيها ذلك فليست بصلة والغرض منها ربط الصلة بموصولها؛ لأن الجملة كلام مستقل فلا بد من رابط يربطها بالموصول[٢١]، وقد يُغني عن هذا الضمير اسم ظاهر يكون هذا الاسم هو الموصول في المعنى إلا أن ذلك قليل ولا يُقاس عليه[٢٢].

أما سبب دراستنا لجملة الصلة في المبحث الخاص بالجمل الدالة على الوصف فهو لأن جملة الصلة هي في حقيقتها وصفٌ وبيان يرفع الإبهام عن الاسم الموصول ويخصصه بما تدل عليه هذه الجملة. فهي تضطلع بدور وصفي لما قبلها وهذا يؤكدُ فاعليتها التعبيرية في سياق الجملة. فهي تتحمل جزءاً لا غنى عنه من الدلالة وهنا تكمن أهميتها. ولا ننسى أن الاسم الموصول لكونه اسماً يتخذ مواضع متعددة من الجملة كأن يأتي مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً به... إلخ . وجملة صلته هي التي تمنحه الدلالة التي يتبوأ بها

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٨ – أيلول لسنة ٢٠٢٣

موضعه هذا من الجملة ، فلو جاء مجردا منها لبقي اسماً مبهماً لا يدل على شيء ولا يصلح إلى أي موضع في الكلام. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الاسم الموصول بذاته ليس سوى اسم مفرد مبهم، وإنما الشأنُ في جملة الصلة فهي التي تتيح للمتكلم مساحة لغوية تطول أو تقصرُ بقدر المعاني التي يريد التعبير عنها وهنا يكون الاسم الموصول بمثابة النافذة التي تنفتح على هذه الجملة ليضيف تركيبا لغويا جديدا يغني المعنى داخل جملته الأصلية.

وفي شعر ابن دريد ورد العديد من جمل الصلة في ثنايا شعره وقد كان لها دور كبير في تأثيث الدلالة وإغنائها. ومن جمل الصلة ما يأتي في شعر ابن دريد صلة لـــ(مَنْ وما) الموصولتين والملاحظ على هذين الاسمين الموصولين أن ابن دريد كثيرا ما يوردهما وهو يتحدث عن المعاني المطلقة التي لا تخصُ شخص بعينه أو تتعلق بحالة معينة ومن ذلك قوله في بيتين من التي عرض فيها للحكمة المثلثة[٢٣]:

ـــ يجل ما يؤذي وإن قل الألم ما أطول الليل على من لم ينم
وسقم عقل المرء من شر السقم
ـــ ما منك من لم يقبل المعاتبهْ وشر أخلاق الفتى المواربه
يكفيك مما تكره المجانبة

وقد ورد في البيت الأول قوله(يجل ما يؤذي) وقوله(على من لم ينم)، وفي البيت الثاني (من لم يقبل المعاتبة)، وقوله(يكفيك مما تكره المجانبة)، فكل اسم موصول هنا تبعته جملة صلته التي يتحدد بها وتتحقق دلالته من خلالها، وهي دلالة عامة في سياق البيتين فقوله(يجل ما يؤذي) لم يحدد نوع أذى بعينه بل الصلة منفتحة على جميع أنواع الأذى وبذا كان التعبير بالاسم الموصول(ما) هو الأنسب هنا وهذا ما ينطبق أيضاً على الأسماء الموصولة الأخرى في البيتين ففي قوله(من لم ينم،من لم يقبل المعاتبة، مما تكره...) فإنها لا تحدد مقصوداً بعينه وإنما دلت على العموم والشمول لأنها ضمن معاني الحكمة التي تصلح لكل زمان وكل مقام. ولولا جملة الصلة هذه لبقي الاسم الموصول في دائرة الإبهام من غير أن يفيد شيئاً في سياق الجملة وهنا تتأكدُ وظيفة جملة الصلة وأهميتها هذا من جهة ومن جهة أخرى تتبين لنا الغاية التعبيرية التي قصدها الشاعر وهو يتخيرُ اسم الموصول وربطه بجملة صلته دون غيرها في سياق أبياته الشعرية؛ لأن جملة الصلة هي التي تحمل الدلالة المقصودة في التعبير الشعري.

وفي شعر ابن دريد وردت جملة الصلة للاسم الموصول (الذي) أو أحد أخواته ويلاحظ من خلال جملة الصلة هنا أن الاسم الموصول معها يكون لمخصص معروف وليس للدلالة على العام المطلق كما مر مع ما، ومن (الموصولتين)كما في قوله[٢٤]:

إن الذي أبقيت من جسمه يا متلف الصب ولم يشعر
صبابة لو أنها دمعة تجول في جفنك لم تقطر

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٨ – أيلول لسنة ٢٠٢٣

فجملة صلة الموصول(الذي) هنا هي قوله (أبقيت من جسمه صبابة) وهنا حددت جملة الصلة دلالة الاسم الموصول وخصصته فوقع في دائرة التعيين والوضوح من خلال جملة الصلة هذه وبذا فإن جملة الصلة هي تركيب لغوي يقوم بوظيفة تعبير مهمة داخل سياق البيت الشعري يتكئ عليها الشاعر في الإفصاح عن دلالة معينة قد لا يتأتى له التعبير عنها بلفظ مفرد أو تركيب لغوي آخر غير جملة الصلة.

ومن الأبيات التي وظف بها الشاعر جملة الصلة قوله[٢٥]:

سقى العقيق فالحزيز فالملا إلى النحيت فالقريات الدنى

فالمربد الأعلى الذي تلقى به مصارع الأسدِ بألحاظ الرشا

لقد وظف الشاعر جملة الصلة(تلقى به مصارع الأسد بألحاظ المها) ولا يُنكر ما أضافه توظيف هذه الجملة من أهمية على مستوى التركيب والدلالة معا فقد أحالتنا هذه الجملة إلى تصوير مشهدي كامل لولاها لما أمكن تشكله وتحققه في هذا البيت فهي تحمل مفارقة غريبة ملفتة للمتلقي فنجد أن الأسد تُصرع من قبل ألحاظ المها وليس العكس الذي تعودناه من أن الأسود هي التي تفترس المها وتصرعها فهذه المفارقة كانت مصدر إشعاع هذه الجملة وجماليتها. فالاسم الموصول الذي وقع نعتا لذلك المكان الذي تحدث عنه الشاعر(المربد الأعلى) لا يحقق ما يريد الشاعر التعبير عنه بل صلته هي التي حققت المعنى الذي أراده الشاعر وليس الاسم الموصول فكأنها هي الصفة في المعنى وليس الاسم الموصول هنا إلا وسيلة إليها فهو بمثابة الجسر الرابط الذي يربط جملة الصلة بما قبلها[٢٦] وليس ذلك فحسب بل إن امتدادها قد أستوعب المدى الوزني للبيت الشعري وأتمه فجملة الصلة هنا قد احتلت المساحة الأوسع من التعبير في البيت الشعري تركيبا ودلالة في الوقت ذاته.

ومن توظيفه لجملة صلة الموصول قوله[٢٧]:

بر برى طول الطوى جثمانه فهو كقدح النبع محني القرا

ينوي التي فضلها رب العلا لما دحا تربتها على البنى

حتى إذا قابلها استعبر لا يملك دمع العين من حيث جرى

فالجملة الفعلية(فضلها رب العلا)هي صلة الاسم الموصول الواقع مفعولا به للفعل (ينوي) وهنا لا يخفى أيضا ما لصلة الموصول من أهمية تعبيرية لبيان هذا الاسم وتوضيحه فضلا عن فاعليتها الحركية التي منحتها للبيت فالجملة عندما تكون فعلية تمنح دلالة حركية وبعدا تصويريا؛ لأن الفعل فيها يحمل قابلية للتصوير والاسم الموصول هنا هو النافذة التي ينفتح منها الشاعر إلى جملة الصلة، ونلاحظ هنا أن أثر الفعل هنا يكون على جملة الصلة وإن كان الاسم الموصول هو الذي يتصدى للعامل ويباشره.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٣ – المجلد ٤٨ – أيلول لسنة ٢٠٢٣

ومن الأبيات التي وظف فيها الشاعر جملة الصلة قوله[٢٨]:

ذلك الثأر لا الذي وهلته نومة الصبح فهو رخو مذيل

فجملة(وهلته نومة الصبح) صلة للموصول(الذي) ،وقد حقق الشاعر دلالته والمعنى الذي يريد التعبير عنه عن طريق توظيف هذه الجملة توظيفا شعريا عاليا والشاعر لم يقصد إلى استعمال الاسم الموصول إلا ليكون التعبير به من خلال صلته وليس من خلاله هو فقط لأنها هي التي تحقق المعنى وتضطلع بالدور المعنوي الأكبر في الجملة الكبرى التي تحتويها وإن كانت لا موقع إعرابي لها.

جملة الحال :

الحال واحدة من الوظائف اللغوية في الاستعمالات العربية وقد عرفها علماء اللغة بأنها: ((وصف هيئة الفاعل أو المفعول به ولفظها نكرة تأتي بعد معرفة قد تم عليها الكلام))[٢٩] وعرفها ابن الحاجب بأنها : ((ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظا أو معنى))[٣٠] كما عرفها السيوطي في همع الهوامع بأنها:((فضلة دال على هيئة صاحبه نحو: جاء زيد ضاحكا ، فضاحكا فضلة دال على الهيئة التي جاء عليها زيد))[٣١].

والحال من الوظائف النحوية التي تُعاقب فيها الجملة المفرد وتحل محله[٣٢] فجاز أن تقع الجملة حالا؛ لأن((مضمون الحال قيد لعاملها ويصح أن يكون القيد مضمون الجملة كما يكون المفرد))[٣٣].

ويشترط في جملة الحال أن تكون خبرية فلا يصح وقوع الجملة الإنشائية حالا والسبب في ذلك ما أشار إليه الرضي في شرح الكافية ((وأما وجوب كونها خبرية فلأن مقصود المجيء بالحال تخصيص وقوع مضمون عامله بوقت وقوع مضمون الحال فمعنى قولك جاءني زيد راكبا : أن المجيء الذي هو مضمون العامل واقع وقت الركوب الذي هو مضمون الحال ومن ثمَّ قيل إن الحال يشبه الظرف في المعنى))[٣٤]. ثم علل بعد ذلك عدم جواز وقوع الجملة الإنشائية حالا بقوله : ((والإنشائية إما طلبية أو إيقاعية ، بالاستقراء ، وأنت في الطلبية لست على يقين من حصول مضمونها، فكيف تخصص مضمون العامل بوقت حصول ذلك المضمون ؟ وأما الإيقاعية ، نحو : بعت، وطلقت، فإن المتكلم بها لا ينظر، أيضا، إلى وقت يحصل فيه مضمونها، بل مقصوده إيقاع مضمونها وهو مناف لقصد وقت الوقوع بلى يُعرف بالعقل ، لا من دلالة اللفظ أن وقت التلفظ بلفظ الإيقاع : وقت وقوع مضمونه))[٣٥].

إن الحال فضلة معنى ذلك أنها ليست عنصراً إسنادياً في الجملة ولأنها كذلك فهي عندما تقع جملة تحتاج إلى رابط يربطها بصاحب الحال ؛لأنها فضلة تأتي بعد تمام الكلام والرابط هو الواو أو الضمير فإذا كانت جملة الحال إسمية فالرابط الواو والضمير أو يكون بالواو وحدها أو بالضمير وحده ولكن الربط بالضمير وحده يكون ضعيفا ، وأما إذا كانت جملة الحال جملة فعلية فعلها مضارع مثبت فالرابط هو الضمير وحده وما سوى ذلك يكون الرابط فيه الواو والضمير أو أحدهما ولابد في الماضي المثبت من وجود قد ظاهرة أو مقدرة [٣٦] .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٨ – أيلول لسنة ٢٠٢٣

إن الحال من المفاصل النحوية التي تُضاف إلى الجملة فتقيدها تقييداً ، إذ هي تقوم بوظيفة ما تؤديها داخل التركيب بعد أن كانت الجملة لا تحتوي على المعاني التي أضافها وجود هذا القيد فيها ، والمقيدات بأنواعها إنما تأتي في التراكيب لتحقيق أغراض ومقاصد ، ومزايا بلاغية يقصد إليها المتكلم ، فالجملة عندما تُقيد بأحد المقيدات يتحول الحكم المفاد بها إلى ذلك القيد ويكون وراء تقييد الجملة أغراض ودلالات يرمي المتكلم إلى دلالة التركيب عليها[٣٧] إضافة إلى أن وجود الحال يؤدي إلى استطالة الجملة وامتداد بنائها وهو ما يُعرف بطول التقييد فما بالك إذا كانت الحال جملة فبذا سيطول بناء الجملة التي تحتوي عليها ويتضاعف تركيبها ودلالتها.

وكَثُرَ توظيف الحال الجملة في شعر ابن دريد كثرة ملحوظة وقد لعبت دوراً أساسياً في بناء جمله الشعرية فلا يمكن التخلي عنها أو أزاحتها عن مكانها أو اعتبارها عنصرا ثانويا في إنتاج الدلالة بل نرى في كثير من الأحيان أن بناء الجملة الشعرية ودلالتها تقوم عليها وأن التفريط بها يؤدي إلى التفريط بالجملة الشعرية.

ومن الأبيات التي وظف فيها جملة الحال قوله[٣٨]:

صوابٌ لعيني أنْ تصوبَ دموعُها وقدْ شمَّرتْ بالظاعنينَ القلائصُ

صرفتُ إليهم طرف عينٍ سخينةٍ وإنسانها في لُجَّةِ الدمعِ غائصُ

صباحا وقد طالت دوين شخوصهم فساح الفيافي والأكام الشواخصُ

فكل من البيتين اشتملا على جملة حالية تضيء جانبا دلاليا مهما في بنية البيت، ففي الأول كانت الجملة(وقد شمرت بالظاعنين القلائص) هي جملة حالية تبين لحظة رحيل الأحبة الظاعنين وهي اللحظة ذاتها التي جعلت العين ترسل دموعها وفي البيت الثاني كانت الجملة الإسمية(وإنسانها في لجة الدمع غائص) جملة حالية تكشف هيئة العين عندما التفتت إلى الظاعنين، ولهاتين الجملتين الحاليتين دور في شحن البيت بدلالات الحزن والألم فلو لم يقيد الشاعر الجملة بهذه الحال فلو قال (صرفت إليهم طرف عين سخينة) واكتفى بوصف العين بأنها تجري دموعها أو أنها سخينة فقط لما كان للتعبير الوقع نفسه الذي أحدثته جملة الحال فهو أراد أن يبين قمة الألم التي جعلت عينه يفيض دمعها حتى غاص إنسانها فيه فقد أفادت الحال هنا بيان هيئته عندما شمر الظعن بالرحيل.

ومن الأبيات التي وردت في جملة الحال قوله[٣٩]

ليس السليم سليم أفعى حرة لكن سليم المقلة النجلاء

نظرت ولا وسن يخالط عينها نظر المريض بسورة الإغفاء

ففي البيت الثاني وردت جملة(ولا وسن يخالط عينها) جملة حالية عن فاعل(نظرت)وقد أفادت هذه الجملة إضاءة دلالية مهمة أضافت للجملة الشعرية في البيت بأكمله معنى مهما وهو أن هذه العين لم يساورها النعاس في نظرتها الفاترة ليلمح إلى صفة الجمال في هذه العين التي تسحر القلوب بنظرتها القاتلة. ولولا الجملة الحالية هذه لما بلغ الشاعر التعبير عن صفة جمال هذه العين ومن ثم ندرك أن للجملة الحالية في ثنايا البيت الشعري دوراً كبيراً في تأثيث الدلالة الشعرية.

وكذلك قوله(٤٠):

شقيتْ بالسُهادِ مُقلةُ حبٍّ بات والجمرُ تحته مفروشُ

فالجملة الاسمية(والجمرُ تحته مفروش) هي حال من الفاعل (الضمير المستتر) في الفعل (بات) والرابط هو الواو وهاء الغيبة في (تحته)، ولهذه الجملة الوصفية دور في شحن البيت بشحنة دلالية تؤكد حال هذا المحب الأرق، فهي ليست فائضاً من القول أو زيادة لا طائل فيها بل هي التي أغنت دلالة البيت وقامت بتقوية الجملة التي تحتويها (الجملة الكبرى) وعززت الدلالة على شقاء هذا المحب الذي أتعبه السهاد وأرقه حتى بات وكأنه يتوسد جمرا لا فراشا.

نتائج البحث:

لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج وهي:

١_ كثرة توظيف جملة النعت الفعلية وقلة توظيف جملة النعت الاسمية في شعر ابن دريد، وذلك لأن الجمل الفعلية تحتوي على الحركة والتجدد وهذا ما يناسب طبيعة الشعر عكس الجملة الاسمية التي تدل على الثبات والجمود وهذا ما جعل الشاعر يميل إلى الجمل الفعلية.

٢_ تضطلع جملة صلة الموصول بدور تعبيري فاعل ومهم في سياق الجملة فهي تتحمل جزءا لا غنى عنه من الدلالة داخل الجملة ، فدلالة الاسم الموصول لا تتحدد إلا من خلالها فهو من دونها اسم مبهم خال من الدلالة وإن دلالته تكمن وترتكز في صلته.

٣_ لقد لعبت جملة الحال دورا أساسا في بناء جمل ابن دريد وهي لم تكن عنصرا ثانويا في إنتاج المعنى بل لاحظنا أن في كثير من الأحيان أن دلالة الجملة وبناءها يستندان على جملة الحال في تشكلهما.

الهوامش

[١]) شرح الرضي على الكافية: ٢٨٣/٢.

[٢]) الدلالة الزمنية في الجملة العربية: ٢٧.

[٣])شرح المفصل:٢٣٢/٢. وينظر: اللمع في العربية:٦٥،وشرح الجمل للزجاجي:١٤١/١.

[٤])ينظر: بناء الجملة العربية :٧٣.

[٥]) شرح المفصل:٢٤٣/٢، وينظر: شرح الجمل للزجاجي:١٤٢/١.

[٦]) يُنظر: شرح الرضي على الكافية : ٢٩٨/٢.

[٧])شرح المفصل:٢٤١/٢ ، ويُنظر: شرح الرضي على الكافية:٢٩٩/٢،وشرح الجمل للزجاجي:١٤١/١،وشرح التصريح:١١٦/٢.

[٨])المصدر السابق:٢٤٢/٢.

[٩])شرح الرضي على الكافية :٢٩٩/٢.

[١٠])يُنظر: شرح الرضي على الكافية :٣٠١/٢،وشرح المفصل:٢٤١/٢وشرح الجمل للزجاجي :١١٤٢،وشرح التصريح:١١٥/٢.

[١١])شرح الرضي على الكافية:٣٠١/٢.

[١٢])ديوان ابن دريد:٤٥.

[١٣])الجملة في الشعر العربي:١١.

[١٤]) ديوان ابن دريد: ٤٦.

[١٥]) يُنظر: ديوان ابن دريد:

[١٦]) ديوان ابن دريد: ١٢٤.

[١٧]) يُنظر: شرح المفصل ٣٨٨/٢.

[١٨]) يُنظر: الكتاب: ٧٥/٢ و٧٦.

[١٩]) شرح المفصل: ٣٩٠/٢.

[٢٠]) يُنظر: الأصول في النحو:٢٦٧/٢، وشرح الرضي على الكافية: ١٠/٣، وهمع الهوامع:٢٧٩/١.

[٢١]) يُنظر: الأصول في النحو: ٢٦٨/٢.

[٢٢]) يُنظر: شرح الجمل للزجاجي: ١٢٦/١.

[٢٣]) ديوان ابن دريد: ٢٨.

[٢٤]) المصدر السابق: ٤١.

[٢٥]) المصدر السابق: ١٣٥.

[٢٦]) يُنظر: العلاقة النحوية بين جملة الصفة وجملة الصلة دراسة في ضوء الدرس اللغوي الحديث، د. فاخر الياسري، مجلة أبحاث البصرة، العدد ١٩، ١٩٩٩م.

[٢٧]) ديوان ابن دريد: ١٢٨.

[٢٨]) المصدر السابق: ١٠٤.

[٢٩]) اللمع في العربية : ٥٢.

[٣٠]) شرح الرضي على الكافية : ٢/٧.

[٣١]) همع الهوامع في شرح الجوامع : ٢/٢٢٣.
[٣٢]) يُنظر : بناء الجملة العربية : ٧٣.
[٣٣]) شرح الرضي على الكافية : ٢/٤٠.
[٣٤]) المصدر السابق: ٢/٤٠.
[٣٥]) شرح الرضي على الكافية :٢/٤٠.
[٣٦]) يُنظر : المصدر السابق : ٢/٤١.
[٣٧]) يُنظر : تجليات التعبير اللغوي في النص القرآني :١٦٠.
[٣٨]) ديوان ابن دريد: ٤٧.
[٣٩]) المصدر السابق: ٣٩.
[٤٠]) المصدر السابق: ٤٧.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأصول في النحو : لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج اللغوي البغدادي المتوفى ٣١٦هـ ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
- بناء الجملة العربية: الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٣م.
- تجليات التعبير اللغوي في النص القرآني : الأستاذ الدكتور فاخر هاشم الياسري ، مؤسسة دار الصادق الثقافية طبع ونشر وتوزيع ، العراق ، ط١، ٢٠١٧م.
- الجملة في الشعر العربي: الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٦م.
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية : الأستاذ الدكتور علي جابر المنصوري ، الناشر الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- ديوان ابن دريد المتوفى في ٣٢١هـ/ ٩٣٣م: دراسة وتحقيق عمر بن سالم، مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية ، دبي، ط١، ٢٠١٢م.
- شرح التصريح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو : للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري ٩٠٥هـ على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٨ – أيلول لسنة ٢٠٢٣

- شرح جمل الزجاجي : لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الأشبيلي المتوفى ٦٦٩هـــ ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه فواز الشعار ، إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م.
- شرح الرضي على الكافية : تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قان يونس بنغازي ، ط٢ ، ١٩٩٦م.
- شرح المفصل للزمخشري : موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي المتوفى ٦٤٣هـــ ، تحقيق الدكتور أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.
- العلاقة النحوية بين جملة الصفة وجملة الصلة: د. فاخر هاشم الياسري، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية(ع١٩، ١٩٩٩م).
- كتاب سيبويه : أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار التاريخ ، بيروت، د.ت.
- اللمع في العربية : أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور سميح أبو مغلي ، دار مجدلاوي للنشر، ١٩٨٨م.
- همع الهوامع في شرح الجوامع : الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـــ ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م.

العدد ٣ – المجلد ٤٨ – أيلول لسنة ٢٠٢٢

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية